مقتطفات من محاضرة **رمضان والقرآن** – السبت – ٣|٨|١٤٣٨ – أ.أناهيد السميري

بين رمضان والقرآن كلمة مهمة تُقضى فيها الحياة وهي الإيمان.

ينظر الناس إلى استثمار رمضان بعين مادية بحتة؛ فيبدؤون بالتخطيط وتصميم الجداول وهذا حسَنٌ ولكنه ليس الطريق الصحيح لاغتنام رمضان فالطريق الصحيح لاغتنامه هو استقباله **بزيادة الإيمان**. و لذلك نرى أن كثيرا من هذه الخطط والبرامج تذهب سدى لأن التخطيط الحقيقي هو بكسب الإيمان.

والربح كذلك في رمضان **ليس** بعدد الصفحات التي قرأتها؛ فهذا الحساب في مفاهيم الناس، أما الحساب عند الله فهو بالإيمان وزيادته.

ولذلك **تعلّقَ** الثواب في الحديث **بالإيمان والاحتساب** (إيمانا واحتسابا)، فالإيمان هو الذي يُولّد الاحتساب إذ أن معنى الاحتساب أن يناجي الإنسان ربه في كلِّ ثانية : يا رب احسب لي هذه .. يا رب احسب لي هذه . فيكون مستلقيا على فراشه مأجورا على احتسابه جوعه وعطشه ..

علاقة رمضان بالقرآن وثيقة بل جاء عن أهل العلم نزول جميع الكتب السماوية فيه ؛ وتدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فيه مع جبريل، فمن السنة تدارس القرآن فيه، **ولمّا كان رمضان شهرا لمدارسة القرآن تحتّم أن تكون الشرائع التي شُرعت فيه من صيام وقيام معينة على شدة الارتباط بالقرآن .** لكن واقع الناس يحكي عكسه فقضوا نهارهم بالنوم وليلهم بتعويض الجوع، وهذا التطبيق لا يحقق المرجو من زيادة الإيمان. فلم يُشرع الصيام إلا وهو أشد عونا على الارتباط بالقرآن من الفطر والشبع.

- من المعلوم عند أهل العلم أن **الإيمان يزيد وينقص،** فيكون مثل أحد وأعظم ويكون مثقال ذرة. والإيمان يُخرج صاحبه من النار ولو كان مثقال ذرة لكن هذا ليس الذي تصبو إليه نفوسنا !! نعم ..الله غفور شكور لكن الجنة مراتب ودرجات يتراءى أهلها كما نرى الكوكب الدري في السماء من البعد والعلو ! فلا تكن قنوعا في آخرتك أبدا ولا ترض فيها بالقليل.

كيف يُعين الصيام صاحبه على الارتباط بالقرآن ؟

الشريعة عموما والصيام خصوصا **يحرران المرء من عبودية الدنيا.**

مثال : المؤمن **لا يتعلق قلبه** بما فاته من الرزق لإيمانه بأنه مقدر مكتوب فلو كان في قسمته أتاه وإلا فهو قانعٌ راضٍ (فالرزق هنا ممنوع عنه **قدرا**)، والمؤمن إذا صام **لم يتعلق قلبه** بالزرق واللقمة وهي بين يديه (لأنها ممنوعة عنه **شرعا**) وهكذا يتحرر **من عبوديته للقمة العيش قدرا وشرعا.** فالصوم جاء ليحرر المرء من عبودية الدنيا ويُسلِّمه من رهنها ليسلم في دار السلام السالمة من المنغصات،

والصوم **يحرر المرء من عاداته المباحة أيضا.**

مثال : من كان معتادا شرب القهوة صباحا، سيفتقدها في أول رمضان ثم يعتاد فقدها بعد ذلك وتستمر حياته دون أن تؤثر عليه. فتتحرر مساحة هنا من قلبه كانت مشغولة بهذه العادة. لمّا تتحرر هذه المساحة تُصبح قابلةً لأن تُملأ بالآخرة وهمومها فيشغل الإيمان هذه المساحة المتحررة وهكذا.

فالقاعدة تقول : المشغول لا يُشغل.

توضيح : المشغول بأكل (العِلك) مثلا، لا يُمكنه أن يذكر الله في نفس اللحظة ، بل لا يمكنه حتى أكل المفيد من الطعام حتى يحرر منها فمه.

كذلك قلوبنا لا يمكنها أن تنشغل بذكر الله حتى نخرج منها مضغ الحياة الدنيا واستهلاكها. فإذا استولت هموم الدنيا على القلب لم يبقَ فيها لهموم الإخرة مُتّسع.

والقاعدة تقول : صاحب الهدف لا تجذبه السفاسف.

مثال : إذا اقترب لأحد الطلاب موعد مناقشة رسالته العلمية، فيكفيه الموجود من الطعام ولا يتشهّى أصنافا معيَّنة منه غالبا، **لأنه يعلم أنه وسيلة لا غاية**، فالقليل من أي صنفٍ يكفيه لأنه **بُلغة**. ولا يلومه الناس من حوله **لأنهم يعلمون أنه صاحب هدف**.

فإذا كان هذا في درجات الدنيا كيف بمن كانت الجنة هدفه وغايته؟

وفي الحديث أن **الدنيا بُلغة منغَّصة** . معنى **بُلغة** أي أنها **وسيلة لهدف يُتوصّل إليه.** وهي مع ذلك وسيلة **لا تخلو** من الآلام والمنغصات.

- **ماهو الفرق بين الإيمان والتصديق؟**

التصديق أن يصدق المرء بأمر **محسوس تدركه الحواس** ، أما **الإيمان** فهو أن يصدق المرء **بأمر غيبي لا تدركه الحواس.**
وليمنع المرء عنه باب الخرافات عليه ألا يؤمن إلا بما كان **مصدره الكتاب والسنة.**
فيكون معنى الإيمان مجملا : **التصديق (اليقيني) بالخبر الغيبي الذي مصدره الكتاب والسنة.**
والناس تتفاوت في **اليقين** وهذا الذي أوصل أبا بكر إلى مرتبة الصديقية.

حال الناس مع الإيمان :
الناس **مؤمنون** بحقائق اليوم اللآخر لكنهم في **غفلة عنه.**
مثال : نحن الآن في هذه القاعة، نسينا أن الجو غائم في الخارج وممطر.
والسبب الذي أنسانا أننا **مفصولون** عن الخارج بهذه **الحوائط والجدُر**، فلو كانت الفواصل زجاجية لما غاب عن ذهننا حقيقة الجو في الخارج لأننا نراه.
فكذلك **قلوبنا، تمنعها حواجز الغفلة وهموم الدنيا عن مشاهدة الحقائق الغيبية**. فما من شيء تقع عليه عين المؤمن إلا وهو شاهد على ربوبية الله ووحدانيته لكن لا يراه سوى المبصرون.
فإذا نظر إلى السماء تذكر أنها ملأى بالملائكة الخاشعين لله وإذا نظر إلى الجبال رأى عظمة خالقها وإذا نظر إلى الطعام رأى تدبير الله له (أنا صببنا الماء صبا ...) فيَردَّ الشيء إلى أصله والمنعم به المتفضل عليه. وهكذا فالإيمان هو التصديق اليقيني. **واليقين يعني: أن يحبس الإنسان مشاعر قوية تجاه هذا المعلوم.**

شعار المرء في رمضان وغيره أن يزداد مع كل يوم إيمانا. **قال أبو الدرداء** : **من فقه المرء أن يعلم أفي زيادة هو أم نقصان.**
مثال : حقيقة مشهد من يقول : صبرتُ على الأذى عشرين سنة واكتفيت ولن أصبر بعدُ ؛ **أنّ إيمانه نقص** لذلك لم يعد يطيق الصبر **لأنه لو زاد الإيمان لازداد صبرا.**

- **ما الذي ينتج بعد العلم عن الله ومعرفته؟**

١- غاية المحبة. ٢- غاية التعظيم.

- **وما الذي ينتج من معرفة الناس؟**

الزهد فيهم. فالخبرة بالحياة وبالناس تُسقطهم من عين المرء وتُوجّهُ قِبلة قلبه إلى الله. فمن عرف الناس استراح، فلم يطرب لمدحهم ولم يجزع لذمهم فهم سريعوا الرضا سريعوا السخط والهوى يحركهم.

فيزداد بذلك حبا وتعظيما لله، **وكلما ازداد حبا وتعظيما ازداد ذلا**. وهو ذلُّ التلذذ والمحبة لا ذل الإهانة. **وغاية الذل هي العبادة**.

- إذا أجاب المرء على الأسئلة الثلاثة في قبره، سئل سؤالا رابعا : وما أدراك؟ فيقول : **قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت.**

فلا بد لمن يقرأ القرآن أن تكون همته معرفة ما فيه ليثبت في قبره.

تطبيقات على آيات :

بداية غافر :

- يعالجُ المؤمن يأسه بـ**(غافر الذنب)** ويعالج تجاسره على المعاصي بـ**(شديد العقاب)** فلا يتلاعب به الشيطان، ويعالج مشاعره بـ**(ذي الطول)** فيظل رهن إحسان الله له وأفضاله عليه ومنته.
- من آمن بالملائكة تولاهم وأحبهم ولم ينشغل عنهم لأنهم مشغولون بالاستغفار له خائفون عليه من الشهوات فهم يتولون المؤمنين ويحبون من أحب الله لحبهم لله كما في **(نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا).**
- خفاء الإنسان في الدنيا وتستره بالبيوت يُخفي عيوبه عن الأعين، فينسى أنه لا يخفى على الله فيعالج هذه الغفلة بـ**(يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء)**
- من آمن **بيوم التلاق** حسُنتْ أخلاقه مع خصومه لعلمه أنه سيلاقيهم يوم القيامة ، فيكون منشأ الأخلاق عبادة لا عادة وذوق.
- **يلقى** المؤمن يقوم القيامة ربه وعمله وأنبياءه ويكون شاهدا للأنبياء على أقوامهم بإيمانه وتصديقه بما في كتاب الله ، فكيف يشهد لشيء ومعرفته به ضئيلة.

من مناهج تدبر القرآن في رمضان :

- استخراج كل آية فيها علم عن الله أو عن الملائكة أو الأنبياء أو أركان الإيمان الستة ، وجمعها وفهمها حتى يستقيم الإيمان لأنه لا يستقيم بناء وأركانه واهية.
- النظر إلى القصص بعين المعتبر : **(ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)** الدعوة إلى النظر في فعل الله، فهم أناسٌ قصمهم الله حين أرادوا التسلط على **بيت الله** ، فكذلك يفعل الله بمن يتسلط على **عبدٍ** لله أو **أمةٍ** له.
- ملاحظة تعاقب المعاني وتكرارها في السور المتتاليات، فكلُّ سورة تبيّن ما كان في التي قبلها من المعاني بصورة أوضح.

مثال :

ص : **(قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار * رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار).**

الزمر : **(... هو الله الواحد القهار * خلق السماوات والأرض ... ألا هو العزيز الغفار).**

غافر : **(... لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) – (... وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار).**

مثال آخر :

الرعد : **(ولو أن قرآنا سُيِّرت به الجبال ...)** في تفسيرها أي ولو أن قرآنا من الكتب الإلهية كان له سلطان فسُيرت به الجبال عن أماكنها لكان هذا القرآن.

إبراهيم **:(... وما كان لي عليكم من سلطان...)**

الحجر **: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ...)**

النحل : **(فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون).**

فتدارس القرآن بالبحث فيه عن كل معنى وشواهده هو الطريق الصحيح لزيادة الإيمان وزكاة النفوس بالتطهر من الآثام والتحلي بالفضائل والفلاح في الآخرة.